تصورات عن نصب العراق المقترح إنشاؤه

علي النجار

ليس العبرة في أن يكون ولعنا فائقا في إقامة المهرجانات والأنصاب النحتية، حتى ولو كانت بنيتنا الاقتصادية أو الاجتماعية تعاني خللا واضحا، ما دام موروثنا الفني ضاغطا لحد إقصاء كل دخيل قادم من عالمنا المعاصر. وقلة هي من أدركت بأن في هذا الكم من الموروث تفاصيل من هذا العصر أو ذاك، أو رموز تحمل دلالات لا تستطيع كل الدهور الماضية أن تطمر خزينها الدلالي المتجدد، وان كان المفكر أو المعماري أو الفنان النابه الذي ينتبه الى بنية هذا الموروث الفاعل ويجتهد للكشف عن جوهر حراك فعله المقارب أو المتفاعل والمنجز الكوني المعاصر(ونحن بعض من قاطنيه)، فبالتأكيد سوف ننتج أصالتنا الفنية . الثقافية المعاصرة. ولا ضير أن نكون متممين لمنجز الماضي العريق، ما دمنا قادرين على قراءته و هضمه ثم تمثيله بجد.

كهرمانتنا التي لا تزال تصب ماءها على الأربعين (حرامي). والتي كانت في ألف ليلة وليلة تصب الزيت المغلي من خلال فتحات (البساتيك) الأربعين على قحف جماجم اللصوص الذين خدعتهم بحشرهم داخلها. وعلينا تخيل قساوة هذا الفعل (القتل) السادي. وتاريخنا الغابر والمعاصر مليء برعب وسادية حوادثه. فلو فعلها المرحوم (محمد غني) وجعلها فعلا تصب الزيت ذاته على (بساتيكه) الأربعين (بالتمام والكمال)، لحدثت كارثة بيئية تتمثل: أولا في كثافة البخار الساخن الذي سوف يغطي الساحة كلها، إن لم يتجاوز على فضاءات أبنيتها المحيطة. وثانيا سوف يحدث التلوث أو التسمم الذي لم ينج منه العابرون لفعل تكرار تسخين الزيت حد احتراقه وتناثره على عباد الله. ونحن في غنى عن هذا التلوث الجديد، بعد أن ضرب تلوث أسلحة اليورانيوم أطنابه في ربوع بلدنا. فهل يا ترى انتبه نحاتنا محمد غني حكمت لهذه الزلة. وهل علينا أن نتحمل أعباء زلات أخرى في مرجعيات دلالات أنصابنا التذكارية الجديدة.

نعيد تساؤلاتنا بصياغة مشابهة، ومختلفة، في آن واحد عن مرجعيات دلالات ورموز وشكل نصب العراق الجديد (الذي فاز في المسابقة) والذي من المؤمل البدء في تنفيذه في ساحة الفردوس، ولو من باب الاجتهاد (والمجتهد له حسنات إن أصاب، وحسنة واحدة إن اخطأ) كما علمنا الزمن العراقي الحالي.

بعد إعادة المسابقة الأولى التي لم تكن نتائجها مشجعة، تم اختيار مصغر النصب (الماكيت) الذي صنعه النحات (عباس غريب). في اعتقادي أن لعامل الوقت الممنوح لزمن المسابقة (٦٠ يوماً) دوراً في حسم قرارات اللجنة المسؤولة عنها. بما أن بغداد سوف تكون عاصمة للثقافة العربية العام القادم. فعلينا أن نظهرها بالمنظر اللائق بها. ومن ضمن هذا المظهر استحداث نصب للعراق في هذه الساحة التي شهدت رمز القضاء على النظام الدكتاتوري السابق. وان كان هذا الأمر مبررا ظاهريا. فلا يعني أن نجازف بإنشاء نصب يمثل العراق، وسوف يبقى أثرا دائما لفننا وعمارتنا المستقبلية (واكرر، المستقبلية) والذي سوف يعبر بنا للزمن المعاصر كما في العديد من المدن العالمية وحتى العربية الجديدة. فهل راعى مصمم النصب ولجان التحكيم والقرار السياسي ذلك في اتخاذ هذا القرار. أو كما هو الحال السابق تبقى هكذا مشاريع خاضعة للقرارات الآنية والمستعجلة.

لنبدأ بكونه نصباً يتعدى التفاصيل النحتية إلى الشكل (الفورم) المعماري. فهل يتحقق هذا الشكل في هذا التصميم الفائز. اعتقد أن جزءاً من هذا الجواب متوفر في الأنصاب المتشابهة الأهداف الموجود في العديد من دول العالم، شرقها وغربها، والتي اشرف على تنفيذها معماريون مشهود لهم كفاءتهم المهنية محليا وعالميا. فنصب كهذا (يحمل اسم البلد بإرثه وحاضره ومستقبله) سوف يتحول إلى إيقونة لا يمكن إغفال هيمنتها الصورية في زمن الصورة الحالي. فهل خلا العراق من معماري كفء لفعل هذه المعجزة (من الإعجاز الإبداعي). علما أنه ربما يتعاون أو يختار الفنان أو النحات الذي سوف ينفذ له التفاصيل النحتية المتممة لهيكلية النصب وبما يتفق مع أساليبه التصميمية، إن احتاج إلى ذلك.

هل أقنعنا النحات عباس غريب بان هيكله النحتي هذا يمثل بغداد المدورة (من ضمن تفسيراته). اعتقد انه يتعذر علينا استحضار هذا التصور كما نفذه. لكن المعمار سوف يلجأ إلى وسائله التصميمية الحديثة ليستنبط لنا تصورا معاصرا لهيكلية بغداد المدورة (الأثرية) بثقل استقرار إنشاءاتها الأرضية. مثلما استطاع المعماري الشاب (منهل الحبوبي) مصمم بناية مجلس الوزراء تحويل الرمز الأثري إلى هيكل نصب معماري معاصر، وكان مقنعا في تفسيره لمراحل التحول من شكل الرمز الأثري إلى الهيكلية المعمارية (الفورم) المعاصر.

في سعفاته الثمان عشرة (محافظات العراق) المفترضة، فقد النحات جوهر شكل السعفة، وكاختزال معماري وبالمناسبة، وجريا مع عناصر تصوراته، فان السعف(نخل) لا يتواجد في بعض محافظات العراق. لكن ولع نحاتينا بالتفاصيل الكثيرة (وليس بالاختزال والتحوير المعاصر) هو الغالب في عملية إنشاء تصوراتهم. واعترف بأنه ولع موروث(الأرابسك) وينقصنا الحس الاختزالي وصولا لجوهر الفكرة، لا بعثرتها. وهنا في هذا النصب نجد بعثرة لتفاصيل كثيرة تفقدنا حس التأمل. واعتقد أنها وبهذا الشكل بعثرت عناصر التصميم المعماري (وهو مطلوب في هكذا نصب)، وجعلت مظهريته العامة اقرب إلى شكل الكأس أو المزهرية أو أية آنية زخرفية إن لم تحلنا إلى أشكال متداولة اقل أهمية. أو ربما إذا نفذ بشكل مصغر جدا من الممكن استثماره كحلية مجسمة مع بعض الإضافات المناسبة. ويبقى المهم بالأمر أن يقنعنا هذا المصغر (الذي سوف ينفذ، أو ربما الذي بدأ العمل في تنفيذه) بمعاصرتنا وحتى بتعدي زمننا المعاصر، كونه نصبا مستقبليا يتجاوز الزمن الفولكلوري الماضي الذي درج الكثير من فنانينا على التغزل بتفاصيله.

السطح النحتي الاسطواني (بغداد المدورة المفترضة) مكتظ بتفاصيل نحتية مستعارة من حضاراتنا السابقة وحتى العصر العباسي ودور العبادة، وهي مجرد استنساخات لم يخضعها النحات للاختزال أو الدمج أو التحوير المعماري، ليستخلص منها نصا معماريا يوازي وظيفة النصب الرمزية ومعماريتها المستقبلية. بالتأكيد هو يفكر بكونه خطابا مفصلا على مقاس سياسي مؤدلج (وسياساتنا السابقة والحالية مؤدلجة). لكن من المؤكد، ومن ضمن عبر الدرس التاريخي العراقي، أن النصب الوطنية ليست ملكا لأحد، وإلا، ليقيم أولياء الأمر أنصابهم الخاصة التي تتوافق وادلجتهم في بيوتهم وعلى قدر مقاساتهم السلوكية والفكرية. وكما تشهد على ذلك بعض الأنصاب المنفذة في العهد السابق.

من ضمن اقتراحات النحات الفائز إدخال الإنارة الليزرية لزيادة الإدهاش. لكن وفي اعتقادي أن هذه الإنارة لا تكون ضرورية، فيما إذا كان النصب مكتفيا بشكله (الفورم) النصبي المعماري، وكما في الأنصاب العالمية المتشابهة الأهداف. فالإنارة الليزرية سوف تغيير من طبيعة ملمس مادة النصب بأطياف ملونتها ووهجها. وان كان من ضرورة لذلك، فاعتقدها لا تتعدى الاستعراض. وهذا يحيلنا الى هدف الاستعراض وولع الاستعراضات المبالغ فيها التي ابتلينا بها.

أخيرا، وليس آخرا، لا اعتقد ان ساحة الفردوس المقترحة لإنشاء هكذا نصب وبهذه الضخامة، مناسبة. إذ لو أنشئ النصب في أحد فضاءات مساحة خضراء واسعة فإنها توفر مكانا مناسبا لزواره، وربما أيضا لوضع التماثيل الشخصية لرواد الثقافة والعلم والنابهين، ولو كتماثيل نصفية. وبهذا الشكل يشكل النصب ومكانه مزارا محليا وعالميا. لا أن ينشئ في مكان مغلق كساحة الفردوس التي يعز على المواطن زيارة النصب، لكونه يقع في ساحة مرورية دائرية مغلقة المنافذ. وان كان من ضرورة لإنشاء نصب ما في هذه الساحة (لهدف سياسي لا يخفى). فليكن مناسبا من الناحية الرمزية، لا أكثر. وليبقى كعلامة على ما حصل من تغيير سياسي ووطني.

اعتقد أن في منظومتنا الثقافية المؤسساتية (صاحبة القرار الثقافي الرسمي) ثمة خلل في طريقة التفكير، يتمثل بالولع في تشتت التفاصيل، لا في وحدتها أو توحدها أو اختزالها، للحد الذي يصبح هذا التفكير قاصرا عن إدراك أهدافه وغير مثمر. وكما هو الحال في استحداث علم وشعار ونشيد وطني جديد للعراق الذي من المؤمل فيه أن يكون جديدا بالفعل. هذه المؤسسات المعيقة في طرق منظومتها الفكرية والسلوكية المبعثرة التفاصيل، ما بين الملة والنحلة والغلة، ضيعت علينا فرصة إعادة أو تقويم مسارات سلوكنا الثقافي والشخصي، وإعادة ترميم ما تبقى لنا من أمل للحاق بركب التقدم الحضاري المعاصر. فإلى متى نبقى متعثرين بأذيال تفاصيل آثارنا، دون فهم كامل لمتطلبات عصرنا. وهذا ما أوصلنا إلى توسع الهوة ما بين المثقف والسلطة، وبمبادرة ومثابرة منها، كما تثبت الحوادث ذلك. وبقي المغترب مغتربا لا حول له ولا قوة له في المساهمة أو التطلع لبلده الذي أقصته عنه ألاعيب السياسة الخبيثة.

أمثلة نصبية عالمية:

من الأمثلة المعاصرة البارزة. النصب النحتي (١) الذي صنعه الفنانان الألمانيان (٢) في برلين عام (١٩٨٧) والذي يمثل وحدة ألمانيا، بعد توحيد شطريها الشرقي والغربي. والنصب يمثل الفكرة الوطنية باختزال عال. صنع على شكل أنابيب معدنية متعانقة بحركة لولبية تجريدية تمثل عناق الناس لبعضها، كناية عن الوحدة الألمانية. كما أتاح له مكانه الذي أنشئ فيه مجال رؤية مفتوحة، إضافة إلى تناغمه وبقية منشآت الشارع وحتى الأثرية العملاقة منها. ونستخلص من ذلك: انه وبالرغم من اكتظاظ الإرث الألماني الأثري والفكري، فان الفنان حاول جهده استخلاص مدلول معاصر ينسجم وغاية إنشاء نصبه.

من الأمثلة المعمارية الأخرى نصب باكستان الذي نفذه المعماري (مسعود عارف) والذي حقق فيه وحدة مقاطعات باكستان بتصميم معماري يتوسطه علم البلاد. كذلك النصب المعماري الوطني في تايوان (٣). ومشروع المعماري البرازيلي الشهير (أوسكار نايمير) النصب التذكاري لأمريكا اللاتينية في مدينة ساو باولو. إذا ما عرفنا بان نصب معمارية ونحتية في العالم، تمثل الآن بلدانها كعلامات وطنية فارقة. مثل: تمثال الحرية في نيويورك، برج إيفل في باريس، تاج محل في الهند، والساحة الحمراء في موسكو، والشراع في دبي وغيرها.

في الختام، علينا اخذ العبر في هذا المجال الإبداعي العام . الخاص في نفس الوقت، من خلاصات موروثنا الأثري، وغير بعيد عن زمننا المعاصر، لندخل عصرنا بما يحاذي ثقافاته الخاصة، وبدون التعثر بأذيالنا.

١-Tauentzienstraße
٢-Matschinsky-Denninghof
٢- The National Chiang Kai-shek Memorial Hall is a famous monument in Taipei, Taiwan

"فجر الفن المصري"..قبل حكم السلالات

ترجمة/ عادل العامل

يتّسم أسلوب الفن المصري القديم بالوضوح على نحو فائق، فالشيء الذي عمره ثماني سنوات يمكن تمييزه في لحظة. وثباته وتصنيفه هما واحدة من أكثر الرحلات البصرية ملحمية في الفن كله، رحلة تستمر على مدى ٣٠ سلالة حاكمة تمتد على ٣،٠٠٠ سنة.تلك هي الفترة التي نعرفها جميعاً وفقاً لفراعنتها و أهراماتها و أبو هولها، و توت أنخ أمون و رمسيس، كما يقول جيري سالتز في عرضه النقدي هذا.

ففي المعرض الباهر المقام في المتحف الميتروبولي للفن خلال الفترة ١٠ نيسان - ٥ آب ٢٠١٢ ، تحت عنوان "فجر الفن المصري" ، فإن المرء لن يرى شيئاً من ذلك. فهذا العرض يغطي السنوات ما بين حوالي ٣٩٠٠ قبل الميلاد و ٢٦٤٩ قبل الميلاد، أي فترة ما قبل أن تصبح مصر مصراً، و يفتح نافذة روحانية على الكيفية التي ظهرت بها أشكال الفن المصري و فكره و صوره إلى الوجود. و مع أنني أستسيغ فن السلالات الحاكمة dynastic - خاصة الثامنة منها الرائعة - فإن فترة ما قبل السلالات هي المفضلة عندي. و في هذا المعرض لن ترى أقل من اكتمال الانمساخ metamorphosis الطويل من عقل العصر الحجري الحديث إلى العقل الحديث، و التفاعل مع العالم بطرق جديدة. كما أنه قديم بشكل لا يصدّق : أكثر قدماً بالنسبة ليوليوس قيصر من قيصر بالنسبة لنا.

و لفهم الكيفية التي حدث بها هذا الفن، علينا إدراك أن الطبيعة و الطوبوغرافيا هما كل شيء في مصر. فالجزء الملائم للعيش من البلد و هو وادي النيل البالغ ٦٠٠ ميل طولاً و عدة أميال عرضاً، أي شقة من الأرض المعرض هناك وعاء عميق فيه مزيد من التماسيح تتشمس بين أعشاب و قصب منقول برهافة حس. و إلى قربها أربع من أفراس النهر، إحداها يمكن أن تكون حبلى، و هناك فرس طفل يجرجر نفسه في الخلف.

و حين نظرتُ إلى تمثال ابن آوى المتمهل إلى الأمام على رأس إصبع قدمه، ، و ذيله المليء، و أذنيه المنتبهتين، بخطوته الوسط، فإن كل ما خطر في ذهني، وحش. ابن آوى. دائماً. و يقدم لنا مفرش أسداً مفصّلاً يصطاده صيادون عديدون و هم يطلقون عليه السهام، و ظبياناً تعدو و يجري إمساكها بالوهق، و نعامة مرعوبة، و كلب صيد أو ذئب برار ينشب مخالبه في وركي غزال. و يصوّر مفرش آخر طيور جيفة و هي تنهش في بقايا حيوان شوهها أسد قريب. و في هذين المشهدين يرى المرء بداية النقش و الأسلبة stylization اللذين سيصبحان قريباً أسلوب البوق clarion المعروف لدينا جميعاً.

عن / artnet

دائرة الفنون التشكيلية تستذكر شيخ النحاتين محمد غني حكمت

من اعمال محمد غني حكمت

المدى الثقافي

إنسانية تتجلى فيها الروح و الفكر بتعبيرية وجمالية.

كما افتتح العتابي معرضين تشكيليين، الأول للصور الفوتوغرافية والذي يوثق تاريخ الفنان وسيرته الإبداعية، والمعرض الثاني يحمل عنوان أعمال نحتية خاصة بالفنان، جسدها مجموعة من النحاتين العراقيين.

وبعدها أقيمت ندوة فنية شارك فيها كل من الناقد عادل كامل والدكتور جواد الزيدي والدكتور شوقي الموسوي تحدثوا فيها بإسهاب عن تاريخ هذا الفنان وأثره في الحركة التشكيلية العراقية، مؤكدين أن الفنان يعد من احد كبار المؤسسين لريادة النحت في العراق، ولا يمكن لأي حداثة قادمة أن تتشكل إلا بدراسة منجزاته من الموروث بتجدده ومعاصرته.

أعقبها الشاعر محمد السيد جاسم بقصيدة تأبينية حملت عنوان (وحدك... لم يدهشك البحر) كانت تجسيدا حيا لمسيرة أزميل فنان هائل وغني بعلاماته ورموزه وتماهيه البصري .

في العام ١٩٦٥ نحت الفنان محمد غني حكمت أول باب يحمل مدلولات لبغداد وأزقتها القديمة والحديثة ببعد حضاري وتاريخي، من خلال إدخال الحرف العربي والزخرفة الإسلامية بهندسة معمارية حديثة وبمعالجة رؤيوية مشبعة بالفن العربي والعراقي الأصيل كما في أعماله شهريار، وشهرزاد، وعلي بابا والأربعين حرامي، وحمورابي، وجدارية مدينة الطب، وتمثال الشاعر أبو الطيب المتنبي.

أنجز الفنان محمد غني حكمت في ثمانينيات القرن الماضي إحدى بوابات منظمة اليونيسيف في باريس، وتلتها بوابات لكنيسة تبستا دي ليبرا في روما.

وقبل رحيله توّج تاريخه الفني بإبداع متميز، سيترك بصمته الواضحة للأجيال اللاحقة بانجازه أربعة نصب، وضعت في ساحات وأماكن مميزة في بغداد، منها الفانوس السحري، والختم السومري، والمرأة التي تمثل بغداد، والنصب على شكل فتاة جميلة ترتدي الزي البغدادي تجلس على مسلة بارتفاع عال، وسيوضع هذا النصب في ساحة حافظ القاضي في شارع الرشيد، والعمل الآخر هو عبارة عن أشعار لبغداد للشاعر مصطفى جمال الدين، والنصب عبارة عن أبنية فخارية كبيرة بداخلها نافورة كبيرة وسيوضع في ساحة مدخل شارع الزيتون قرب الزوراء.. والعمل الثالث هو عبارة عن نصب المصباح السحري عرض فيه رواية ألف ليلة وليلة التي تدور أحداثها في بغداد، حيث تم وضعه أمام المسرح الوطني في بغداد، أما النصب الرابع فهو عمل يحمل عنوان إنقاذ العراق، وهو عبارة عن مسلة عرفت بها الحضارات العراقية كتب عليها باللغة المسمارية عبارة تشير إلى بغداد وهذه المسلة بأبعاد كبيرة ستوضع في الكرخ قرب ساحة التقاعد.